وقف حسن عبد الفتاح أمام باب كلية الحقوق ينتظر وزملاؤه نتيجة الليسانس . لم يكن يحس باحد حوله . انفصل كيانه عن الجموع المتزاحمة فهو فرد فى نفسه وفى آماله وفى مخاوفه لا يحس الا هذا الوجيب الآخذ الذى يهز جسمه هزا ... انجاح فانطلاق الى الحياة بكل ما فى الحياة من حلاوة الكفاح فما كان يرى فى النجاح والانطلاق الى الحياة الا الحلاوه . ام سقوط فهو تلميذ سيظل . وهو حينئذ سيعود الى امه كسيف البال مخذولا يخاف من غضبها خوفا قد يطغى على حزنه من السقوط . ان تفكيره فى امه يمازج تفكيره فى النتيجة فهو حينا يفكر فى المواد مادة مادة ويذكر كيف أجاب فى كل مادة منها وهو احيانا كثيرة يفكر فى امه كيف قامت على شأنه بعد موت ابيه وكيف بذلت له من دمائها ومالها وجهدها حتى جعلته يصل الى نهاية المرحله العالية من التعليم .

لقد قامت بواجبها نحوه بل بذلت أكثر من واجبها فكم يمضه أن يقصر هو عن واجبه . كان ارضاء امه أساسا تقوم عليه حياته جميعا فقد كان يرى نفسه نفحة من جهودها وقبسة من دمائها بل كان يرى نفسه املها الضخم الذى عاشت له وبه سنوات طويلة ثمينة شابة من حياتها .

وفى ظلال هذه المشاعر عاشت حياته جميعها ، احب . أحب بكل ما فى الحب من نبض جياش وبكل ما فى الشباب من اندفاع وقوة . احب زميلته فى الكلية الهام . ولكن امه عرفت بحبه وقالت لا . فاذا نبض الحب يصبح نبضا خائفا هالعا ان يغضب امه . واذا هو يبتعد عن حبيبته مذعورا ويعود الى طاعة امه راضيا بها عن كل ما فى الحب الشاب من أحلام وآمال ورؤى .

وها هو ذا اليوم ينتظر نتيجة الليسانس . تلك الشهادة التى جاهدت امه فى سبيلها أكثر ما جاهد هو .. انه يريد الشهادة ليذهب الى امه ويعلن اليها أن جهودها قد كللها النجاح ... وينطلق الى الحياة ... كان فى البعيد البعيد من نفسه يخيل اليه أن هذه النتيجة التى ستعلن الآن ستحمل فى طواياها معنى آخر غير معنى النجاح ... انها ستحمل له قرار الافراج عنه من سيطرة امه ... شعور يخامره ولا تعلنه نفسه الى نفسه . كأنما كان يريد أن يقول لها فى غير الفاظ . لقد جاهدت لأحصل على الشهادة فهل يكفيك الشهادة مكافأة على جهادك . وكأنما كان ينتظر أن تقول امه فى غير الفاظ هى أيضا لقد صرت رجلا فافعل مابدا لك آمال

تهجس فى الخوافى البعيدة من نفسه وهو واقف بباب الكلية عينه لا ترتفع عن الباب الكبير ينتظر أن يخرج منه الموظف المختص ليعلق اسماء الناجحين على تلك اللوحة الماثلة بجوار الباب . التى قدر لها أن تحمل أغلى ما يطمح اليه جميع هؤلاء الواقفين فى لحظتهم تلك . هذه اللوحة الكالحة ستحدد مصير كل فرد منهم وعينا حسن عبد الفتاح شاخصة الى الباب الكبير والباب صامت لا يبين عن أحد .

واخيرا ظهر الموظف وبيده الأوراق . وبعد محاولات عسيرة وقعت عينا حسن على اسمه بين الناجحين . ولم يحس بنفسه الا وهو واقف امام أمه يخبرها وعيناه تموجان بالدموع .. « لقد نجحت » .

وفرحت الام ... ولكنه لم يجد عندها ما كان يتوقعه من فرح كانت واثقة من نجاحه . كأنما كان نجاحه امرا تصنعه بيديها فهى واثقة من نتيجته وقد اكد هذا المعنى فى نفسه انه وجدها قد اعدت له الوظيفة دون أن تسأله عن الاتجاه الذى يريد أن يشقيه فى الحياة ... وخيل اليه انه قبل الوظيفة سيستطيع ان ينعم بحريته من ربقة امه فهو يقبل الوظيفة فى غير مناقشة ويصبح موظفا . ولا يمضى كثير وقت حتى تفاجأه امه :

حسن .

ـ نعم يا نينا .

ـ لقد خطبت لك .

ـ ماذا ؟

ـ سناء بنت عمك على أبو العلا .

ـ تقصدين بنت صديقتك شريفة هانم .

ـ ما رأيك .

ـ أتسالين عن رأيى حقيقة .

ـ طبعا .

ـ اتسالين عن رأيى بعد أن تخطبى .

ـ أنت حر .

ـ أنا حر .

ـ طبعا .

ـ فانا لا أريدها .

ـ ماذا .

ـ أنا لا أريدها .

ـ لماذا .

ـ لانى لا اريدها .

ـ ولكنى اريدها .

انه أنا الذى سيتزوج .

ـ وانا أمك .

ـ هذا شىء لا يمكن أن أنساه .

ـ ماذا تقصد .

ـ اقصد أنه لا فائدة ... فسواء عندك وافقت ام رفضت .

ـ تعنى أنك موافق .

ـ أمرك .

وما هى الا أيام حتى يتم كتب الكتاب وما هى الا أيام أخرى حتى يحل يوم الزواج . ويترك حسن البيت ويخرج الى الطريق . فى هذه المرة لم تكتف امه أن تفرض سيطرتها عليه ولكنها فرضتها بقوة وعنف على فتاة لا تمت لها بصلة . ما ذنب هذه الفتاة ... كيف يتزوج من فتاة لا تحبه ولا يحبها . أنها أمه ... ماذا يصنع ، وماذا صنع قبل اليوم حتى يصنع اليوم . انه هو ، هو لم يتغير ولم تتغير أمه . ويجول فى الطرقات يسلمه شارع الى شارع ورأسه تموج بالسخط والضيق بلا امل على الاطلاق .

ويعود الى البيت فى الموعد المقدور . وتنطلق الزغاريد وتتعالى الموسيقى

وينظر الى وجه زوجته وتنظر الى وجهة وكأنما هما متفقان على المعانى التى تدور بنفس كل منهما ولكن ماذا يصنعان . كان يحس انها ايضا واقعة تحت سيطرة أبيها وامها كما يخضع هو لسيطرة امه . ان امه تستطيع ان تفعل به ما تشاء ... استطاعت أن ترغمه على اختيار كلية الحقوق واستطاعت ان ترغمه على المذاكرة بل واستطاعت فى قوة عاتية ان تحطم حبه الأول ولكن اتستطيع ان تنشىء حبا ؟ هل تستطيع امه ان تجعله يحب هذه الفتاة او تجعل هذه الفتاة تحبه . كيف ؟ لماذا لا يقول « لا .. لا » صارخة واضحة جهيرة لا لبس فيها ولا غموض ولا ابهام . لا .. ويترك امه ويعيش وحده حتى يجد هواه

نعم .. ان امه قد بذلت فى سبيله الجهد والخوف والعطف ولكن الا تبذل كل الامهات . وهل معنى هذا أن تنتهب حياته جميعا بل وتنتهب حياة فتاة اخرى لا ذنب لها الا ان امها صديقة امه ...

اليست كلمة لا ستنقذه وتنقذ هذه الفتاة المسكينة الجالسة أمامه .. ما ذنبها .. مسكينة انها حلوة ... جميلة غاية الجمال . . لعله كان يختارها اذا ترك وشأنه . انه يحب هذه العيون الحالمة المذعورة . ويحب هذا الشعر الاسود المنساب . ويحب هذه الابتسامة التى تجرها الى فمها جرا . ويحب هذا العود الواهن كأنه طيف ، الرقيق كأنه فكرة ، الشفاف كأنه حلم . هو يحب هذا جميعه ولكنه لا يحب سناء . وكيف له ان يحبها وهو لم يفكر فيها زوجة الا حين امرت امه ان يتزوجها . فاذا هى زوجته .

كلمة واحدة هى : « لا » يستطيع ان يقولها فى هدوء وفى حزم فينهى هذه المأساة التى تحيط بها الزغاريد وتتعالى لها الموسيقى الفرحة وتنطلق لها الأغانى وتدق الطبول ، « لا » حرفان يمنعان المأساة ان تتم فصولا . وليكن بعد ذلك ما يكون .

ورنا الى زوجته .. ترى أيرضيها هذا .. كم هو قاس ذلك المجتمع .. ان فعل ما يريد ان يفعل اصاب هذه الفتاة التى يشفق عليها بطعنة لا سبيل لها ان تنجو منها . ستتطاير الأقاويل وتتدافع الشائعات ... ان العروس لا تعجبه ... طعنة تصيب المرأة فى أعظم ما تزهى به ... ايهما أحسن عندها .. ان يخلصها من حياة لم يكن لها يد فى اختيارها ... أم ان تظل زوجته ولا يقول الناس عنها انها لم تعجب زوجها فرفض ان يتم الزواج . وأين كانت « لا » هذه قبل اليوم لماذا خضع حتى تم هذا جميعه ثم انتفض فجأة يريد ان يمحو ما كان ... وهل يمحى . كيف ؟ ... ما ذنب هذه المسكينة حتى ترمى الى هذا الموقف الضنك وما ذنبه هو ؟

والموسيقى تتعالى والزغاريد تنطلق والأغانى تصدح والشعور بالفرح يفيض على وجوه الجميع الا وجهين .. وجهه وقد تشنجت عليه ابتسامة ووجه العروس وقد جمدت على فمها ابتسامة مثل ابتسامته .

وانقضى الليل وتخافتت الموسيقى ووهنت الزغاريد وتشتت الجمع وخلا الزوج الى زوجته وأقفلت من دونهما الحجرة . وكان بها كرسيان . وجلسا

وهوم الصمت حينا ... ثم طال هذا الحين. هو مطرق خزيان وهى مطرقة مذعورة . فى راسه دوامة من الافكار وفى راسها امواج من الحيرة .

وفجاة نظر اليها وهم ان يقول شيئا ثم أطرق . وهمت هى ان تقول شيئا دون أن ترفع راسها ولكنها ما لبثت ان عادت الى الصمت .

واحس بطول الصمت وصمم ان يقول شيئا ... اى شىء ورفع راسه وفتح فمه وفكر وفكر ... واخيرا قال دون ان يهتدى الى ما يجب قوله :

ـ آسف

ونظرت اليه فى غير دهشة وقالت دون تريث :

ـ وماذا تفيد آسف الان ؟

ـ وماذا كان يمكن ان افعل ؟

ـ الست حرا

ـ وانت

ـ انا ... انا على كل حال لست مثلك

ـ اننى امام امى ...

ولم يستطع ان يكمل جملته

ـ لماذا ... لماذا

ـ ليس لها غيرى .. وليس لى غيرها

ـ ولكنها حياتك

ـ المصيبة انها حياتك انت ايضا

ـ هل أمك قاسية الى هذا الحد ؟

ـ انها تظن انها رحيمة اكثر مما ينبغى

ـ الا تؤمن بحريتك فى الاختيار

ـ انها تؤمن بحريتى التامة مادمت لا اعصى أوامرها

ـ ولكنها حياتك

ـ هى لا تفصل كثيرا بين حياتى وحياتها

ـ وحياتى

ـ ستصبح حياتك هى حياتى وهكذا ترين انها جميعا حياتها هى

ـ وماذا سنفعل الآن ؟

ـ لقد تعودت منى الطاعة . . . ولا أظننى الآن استطيع ان اتخلص من هذه العادة

ـ تعودت ان تطيع فى شان نفسك اما فى شانى انا

ونظر اليها طويلا .. انها حلوة .. خيل اليه انه يحبها .. بل كاد يوقن انه يحبها .. هى الفتاة التى طالما كان يرسم صورتها لهواه ..وهى مستكينة تشكو اليه الظلم الواقع عليها فى غير عنف ولاثورة ولكن فى حنان وفى دفء . ووجد نفسه يقول :

ـ ايغضبك ان تصبحى زوجتى ؟

ـ لعلى كنت اتوق الى هذا لو انك سالتنى وانا لست زوجتك

ـ فلماذا لا تجربين وقد اصبحت زوجتى

ـ الا تعرف ؟

ـ نعم ... اعرف ...

ـ اتحبين غيرى ؟

ـ ابدا

ـ اذن

ـ ايرضيك ان احس دائما انك فرضت على فرضا ... أترضى لنفسك هذا

ـ لقد تعودت ان ارضى لنفسى ما لا احب ان ارضى

ـ ايرضيك هذا لى ؟

ـ أعرف انني أحببتك
ـ احسست
ـ ألا يكفيك هذا الاحساس ؟
ـ وماذا عنى أنا ؟
ـ فانت لا تحبيننى
ـ وانت زوجى المفروض على ...
ـ جميلة هى الحرية
ـ اعرفتها ؟
ـ تمنيتها
ـ فلماذا لا تسعى اليها
ـ لم استطع فيما مضى
ـ فلا أمل لى اذن
ـ بل يخيل الى أن هناك وميضا من امل
ـ كيف ؟
ـ لن تكونى زوجتى
ـ وامك ؟
ـ اطعتها فى كل ما يتصل لى ولكنى لن اطيعها فيما يتصل بك
ـ اذن فانت تحبنى حقا
ـ لقد ادركت هذا باحساسك .. اتعودت ان يكذبك احساسك ؟
ـ لا
ـ اذن
ـ اخشى ان يمنعك حبى عن تنفيذ ما تفكر فيه
ـ بل ان حبك هو الذى سيدفعنى ان أنفذ ما افكر فيه
ـ سنرى
ـ متى تريدين أن يتم هذا
ـ متى تشاء
ـ لا اريد ان يمسك أحد بسوء
ـ فمتى اذن ؟
ـ بعد عام
ـ اليس طويلا ؟
ـ متى تشائين
ـ نصف عام
ـ نصف عام

ونام على الأريكة ونامت على السرير وظلت الاريكة مكان نومه ستة اشهر .

ثم قال حسن لزوجته :
ـ اتدركين كم احبك ؟
ـ نعم
ـ وسيزداد يقينك اليوم
ـ اذن فانت تذكر
ـ نعم
ـ اذن
ـ فانت طالق . . . طالق لانى احبك .. نعم لانى احبك .. ولعلك بعد ان تصبحى حرة ... لعلك ترضين ..
ـ لا تكمل
ـ اهو الرفض اذن
ـ لا ... ولكن لا اريدك ان تطلقنى بشرط
ـ لا ... وبغير شرط
ـ وامك ؟
ـ ساطلقك

ولم تمض ساعات حتى كان المأذون يحرر ورقة الطلاق . وكانت ابتسامة فرح ترفرف على شفتى سناء واخرى على شفتى حسن . وكانت الدموع تنهمر من عينى أمه ... لقد ادركت انها فقدت سيطرتها عليه الى الأبد .